العدد (1885) السنة الثامنة -السبت (21) آب 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

مـــــــدن مـقـدســـة

النجف الأشـــرف.. مدينة القداسة والعلم والتاريخ

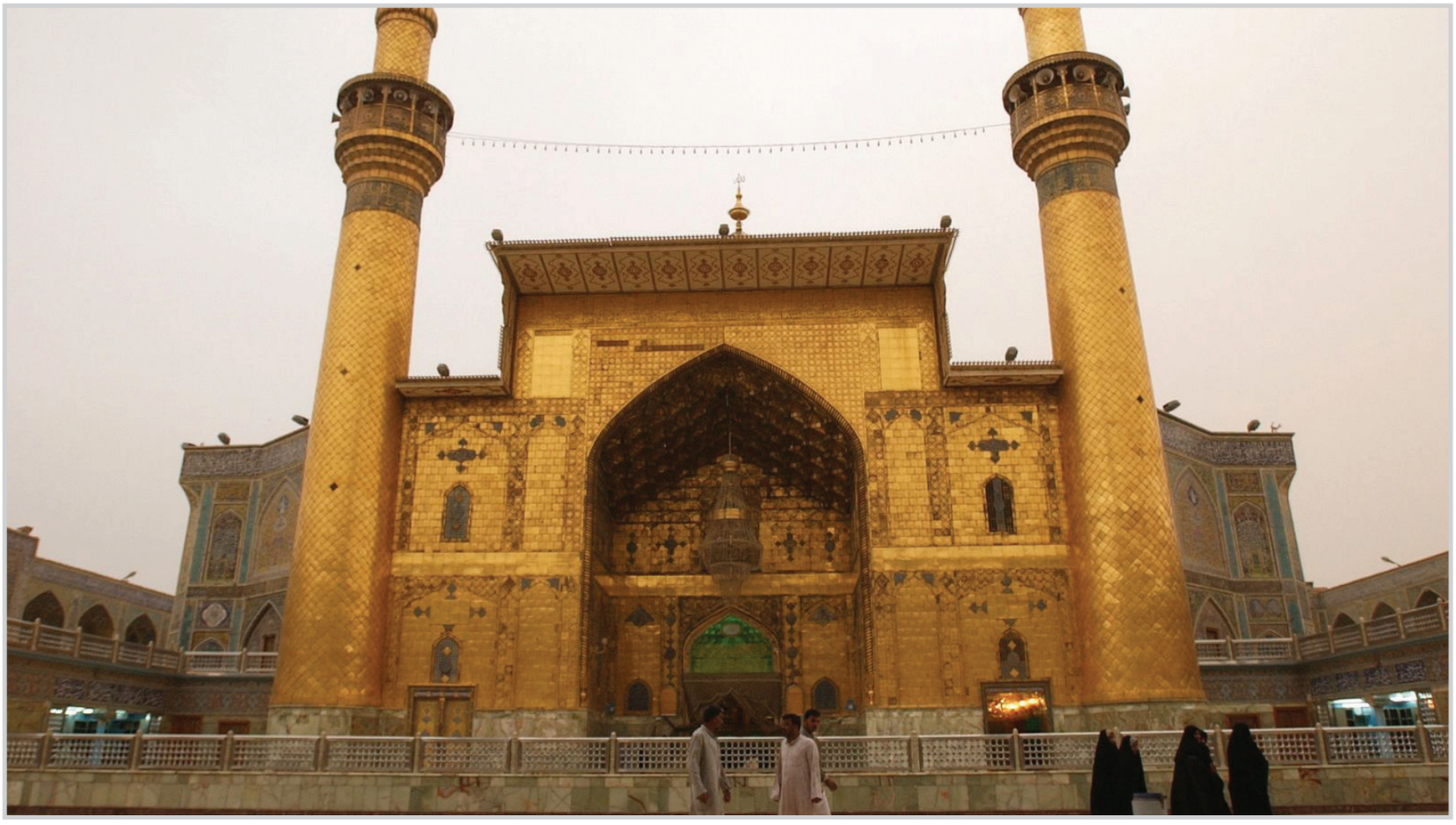

اعداد/ كريم الحمداني

النجف الأشرف مدينة تاريخية مقدّسة، وحاضرة علمية ودينية عريقة ، نشأت حول مرقد الإمام عليّ عليه السلام في ظهر الكوفة عند إظهاره في أواخر القرن الثاني، ثمّ ورثت الكوفة مكانةً وسكاناً، وهي اليوم إحدى كبريات المدن العراقية.

تقع مدينة النجف على حافة الهضبة الصحراوية الغربية من العراق جنوب غربي بغداد على بعد ١٦٠كم.... يحدّ مدينة النجف من الغرب منخفض بحر النجف متصلاً بناحية الشبكة وبالحدود السعودية، ومن الجنوب والجنوب الغربي مدينتا الحيرة وأبي صخير على بعد ١٨كم، ومن الشرق الكوفة، ويبعد مسجدها (المركز) بـ ١٠كم ... ويحدّها من الشمال ناحية الحيدرية (خان الحماد) على بعد ٣٠كم ... وتبلغ مساحة مدينة النجف ١٣٢٨كم.. أمّا حدودها الإدارية كمحافظة فهي كالتالي: من الغرب والشمال الغربي المملكة العربية السعودية ومحافظة الأنبار، ومن الشمال الشرقي محافظة كربلاء، وبين الشرق والجنوب الشرقي محافظتا بابل والقادسية.وتتألف من ثلاثة أقضية وسبع نواح وتبلغ مساحتها ٢٧/٤٩٤كم.. ولا يعنينا الحديث عنها في حديثنا عن تاريخ المدينة. أسماؤها ومناشئها: للنجف عدد من الأسماء أخذت من الموقع والواقع ، فأسم النجف عند أهل اللغة يعني التل والمكان الذي لا يعلوه الماء المستطيل المنقاد. قالوا: والنجف بظهر الكوفة كالمسناة تمنع ماء السيل أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها.

ومن أسمائها الغري: وهو الحَسن من كلّ شيء. والغري أيضا: المطلي بالغراء، مفردها الغريان: وهما بناءان كالصومعتين مشهوران بظهر الكوفة بناهما بعض ملوك الحيرة أمثال (المنذر بن ماء السماء)

قال الحموي: ويجوز أن يكون اسم الغري مأخوذاً من كلّ واحد من هذين.

وللنجف عدة أسماء أخرى منها: المشهد ، وهو ما ذكره ابن جبير وابن بطوطة في رحلتيهما، وهو تسمية للكلّ باسم البعض الأظهر والأشرف فيها، وهو مشهد القبر المقدس، وما زال هذا الاسم متداولاً حتّى الآن لدى سكانها، فيقال: مشهدي في النِسبة، والمشاهدة.. وللنجف الموقع أسماء أخرى منها ما كان معروفاً تأريخياً، ومنها ما ورد في أحاديث الأئمة من أهل البيت عليهم السلام كـ: بانقيا، والجودى(٤) والغربي، واللسان، والربوة، والطور، وظهر الكوفة. تاريخها ما قبل الإسلام، وما قيل التمصير: ورد في أخبار الأئمة من أهل البيت عليهم السلام: أنّ في بقعة النجف قبري آدم ونوح عليهما السلام، وإنّ الإمام دفن عندهما بإعلامه ووصيته، وأنّ فيها أيضاً وعلى مسافة ١كم قبري هود وصالح، وأنّ مرتفعهما بقايا جبل قديم هو جبل الذي قصده ابن نوح في قوله تعالى: (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله).

وكان متصلاً بالشام فانهار الجبل وساخ.. ووردت أخبار أُخرى لم يتحقق من صحتها من الخارج والداخل ولكن مضمونها واحد هو التأشير إلى قدّسية هذه البقعة وشرفها قديماً.

والنجف الأشرف مدينة مقدسة ومركز مهم من مراكز العلم والزيارة وحاضرة الفكر الإسلامي خرّجت أجيالاً من العلماء والفقهاء وأصحاب الفكر الذين لا تزال آثارهم وأعمالهم تملأ مشارق الأرض ومغاربها وقد سمّيت بهذا الاسم لارتفاع موضعها وكونها كالمسناة لما حولها من المواضع وقيل إنه كان فيها بحر يقال له: (ني) ثم جف فقيل (ني جف) ثم خففت فصارت نجف وكذلك تسمى الغري نسبة إلى الغريين. وهي مدفن قبل أن تكون مسكناً لما ورد في جملة من الآثار من أن عذاب البرزخ يخفف عن المدفونين فيها وأن المبيت فيها عبادة كما ورد عن الإمام زين العابدين(عليه السلام). وقد اكتسبت أهمية عظيمة ونالت شرفاً لا يطاول بما ضمت من جسد أفضل شخصية عرفها التأريخ بعد رسول الله ألا وهو مولانا أمير المؤمنين(عليه السلام) كما زادها شرفاً وجود مشاهد ومواضع مشرفة لبعض الأنبياء والأئمة الطاهرين وبعض الصلحاء والموالين لأهل البيت ونوجز في ما يلي أسماء المراقد والمشاهد المشرفة وهي:

مرقد الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)

مرقد الإمام أمير المؤمنين ووصي رسول الله وباب مدينة علمه إمام المتقين ويعسوب الموحدين وأبي الأئمة الطاهرين ووصي المصطفى الامام المرتضى أبي السبطين الصديق الأكبر مولانا علي ابن أبي طالب(عليه السلام).

مرقد آدم ونوح (عليهما السّلام)

ورد في كتب الزيارات عند زيارة أمير المؤمنين عليه السّلام هذه العبارة: (السّلام عليك وعلى ضجيعَيك آدمَ ونوح..) مما يدل على أنّ آدم ونوحاً مدفونان داخل الروضة المطهرة إلى جانب الإمام عليه السّلام.

وقد تقدّم أن ابن بطّوطة الذي زار النجف سنة (٧٢٠) هـ لما دخل الروضة وجد ثلاثة قبور، يقال: إنّ أحدها قبر الإمام عليّ عليه السّلام، والآخران قبرا آدم ونوح عليهما السّلام. وذكر الرحّالة سيدي علي التركي في كتابه (مرآة الممالك) أنّه زار سنة ٩٦١ هـ آدم ونوحاً وشمعون عليهم السّلام في النجف، بعد ما زار الإمام المرتضى عليه السّلام.

مرقد نبيّي الله هود وصالح

الثالث: جارا الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) نبي الله هود ونبي الله صالح:

مقبرة وادي السلام

وهي أكبر مقبرة في العالم وأكثرها تنوعا في أصول رفاتها، حيث دفن فيها شيعة من مختلف أنحاء العالم كانت تسمى سابقا بـ(الغريرية) لكنها الآن تسمى مقبرة وادي السلام...

ووادي السلام ليس مقبرة للنجف وحدها ولا للعراق وحده، بل لكثير من البلاد كإيران والهند وباكستان والكويت وجبل عامل وأقطار أخرى، فإن كثيراً من عظماء هذه الأقطار تُنقل جنائزهم إلى النجف الأشرف.

المساجد المشهورة في النجف

في النجف عدد كبير جداً من المساجد، ونحن نذكر هنا بعض ما له مزيّة وشهرة، مثل:

١ـ مسجد الحنّانة:

هو من المساجد المعظّمة التي يتبرك بها القاصدون، وهو أحد الأماكن الثلاثة التي صلّى فيها الإمام الصادق عليه السّلام، ويقع على يسار الذاهب إلى الكوفة في شمال البلد، وبالقرب منه الثوية، وهي مدفن كثير من خواصّ أمير المؤمنين عليه السّلام، ولكنّ قبورهم قد دُرست، ويعرف منها قبر كميل بن زياد رحمه الله، وهو مقام كبير واسع عليه قبة فخمة، وله دار فسيحة مسوّرة من جهاتها الأربع.

٢ـ مسجد عمران بن شاهين:

وهو أقدم مساجد النجف، لأنّه بُني في أواسط القرن الرابع على يد عمران بن شاهين، الذي خرج على عضد الدولة فكانت الدائرة عليه، فنذر إن عفا عنه السلطان أن يبني رواقاً في النجف، فعفا عنه، فبنى رواقين: في الغريّ وكربلاء.

والرواق الذي في النجف يقع في الجهة الشمالية للحرم العلَويّ.

وحيث أنّ الحرم العلويّ كان في الأصل عبارة عن الروضة المطهرة، وكان رواقه هو صحنه، وأمامه إيوانه الشرقي فقط، وكان رواق عمران يبعد عنه عدة خطوات.. فقد جاء الشاه عباس الأوّل فوسّع الصحن من جهة الشمال، وأدخل فيه قسماً من رواق عمران، ثمّ جاء الشاه صفي فاكتسح الدور في بقية الجهات، وأوجد الصحن الكبير والسور حوله وهو الموجود اليوم.

ثمّ هدمت الحكومة ثلثا من رواق عمران سنة ١٣٦٨هـ، فصار في الطريق المحيط بالحرم فبقي من رواق عمران القطعة المعروفة اليوم بين هذا الطريق وبين الصحن، وبابها في دهليز باب الصحن المعروف بباب الطوسي.

٣ـ مسجد الخضراء:

يقع في الجهة الشمالية من الجانب الشرقي من السور الخارجي للصحن الشريف، ومدخله من الإيوان الثاني من السور الشرقيّ، وهو قديم، ولا يُعرف تاريخ إنشائه، ولكن يُنسب إلى عليّ بن مظفر.

٤ـ مسجد الرأس:

وهو مسجد واسع كثير الاسطوانات، بابه في الصحن الشريف في الإيوان الكبير تحت الساباط مقابل الرواق، من جهة الرأس الشريف، ويتصل بتكية البكتاشية، وهو مسجد قديم أيضاً، ويرجع تاريخ بنائه إلى عصر الايلخانيين، وقد جُدّد ورمم بناؤه عدّة مرات. منها سنة ١٣٠٦ هـ من قبل نادر شاه.

وسمي بمسجد الرأس، لأنّه إلى جانب رأس الإمام عليّ عليه السّلام. ولعله أكبر مسجد في المساجد الموجودة في السور الخارجي للصحن الشريف، وهو مستطيل الشكل يتوسطه صحن كبير متّسع وعلى جانبي الصحن من الجهتين الشمالية والجنوبية إيوانان، فيهما كثير من الأعمدة المقطوعة من حجر المرمر. وفي سنة ١٣٦٨ هـ اقتُطع منه ما يقرب من خمسة أمتار، وأضيفت إلى الشارع العام.

٥ـ مسجد الشيخ الطوسي:

وقد كان في الأصل بيت سكنى شيخ الطائفة، فأوصى أن يدفن فيه ويُجعل بعد وفاته مسجداً. وهو في مقابل باب الطوسي من الجهة الشمالية للصحن الشريف، وبإزائه مقبرة السيد بحر العلوم وآله. وقد جُدّد بناء المسجد في سنة ١١٩٨هـ، ومرة أخرى في سنة ١٣٠٥ هـ، وأخرى في عام ١٣٨٠ هـ.

وهناك مساجد مشهورة أخرى كمسجد الشيخ جعفر الشوشتري، ومسجد الصاغة، ومسجد الحيدري، ومسجد المراد، ومسجد آل كاشف الغطاء، ومسجد الشيخ صاحب الجواهر، ومسجد الحاج ميرزا حسين الخليلي، ومسجد صفة الصفا، ومسجد الشيخ مشكور، ومسجد الشيخ مرتضى، ومسجد الهندي، ومسجد الشيخ الطريحي، ومسجد آل المشهدي، ومسجد علي رفيش، ومسجد الحاج حسين البهبهاني، مسجد الشيخ آغا رضا الهمداني، مسجد العلامة حسن الشيرازي وغيرها.

بعض من ذكريات رمضان

كاظم الجماسي

يعرف حق المعرفة، ابناء الشرائح الاكثر مظلومية من بين شرائح مجتمعنا، كيف ان عسر الحال كان حاجزا صلدا ليس امام رغباتنا الانسانية في حدود تطلعاتها الطفلية المتواضعة، وانما امام الحصول على مايكفي الحاجات الاساسية لمفردات معيشتنا اليومية، من مأكل ومشرب وملبس وغيرها..

ومثلما كانت امهاتنا ماهرات بدرجة الامتياز، في اختلاق التبريرات المختلفة في اجوبتهن على فيض اسئلتنا المحرج والمتتابع، كنا ماهرين ايضا في اصطناع التصديق، لا بل الدهشة والاعجاب..

كان الفقر لازمة ترتبط برباط وثيق وتفاصيل ايامنا، فقد كانت اللحوم بشتى انواعها زائرا شحيحا لموائدنا، والقميص الجديد والحذاء الجديد و البنطلون الجديد محضوراً تواجدها طوال ايام السنة، سوى ليلة العرفات، الليلة التي تسبق صباح العيد، اما الحصول على بعض انواع الفاكهة والعصائر والحلويات فضرب من البطر المستهتر..

وفي ايام رمضان كنا نقلد بطريقتنا الخاصة صوم الكبار، اذ نمتنع عن تناول الطعام والشراب في العلن ونفعل غير ذلك في السر، اذ كنا نختبيء في كنتور الوالدة مصطحبين معنا (كرصة خبز) وباقة ريحان نقضمها في غفلة من الصائمين، لنخرج بعدها نكمل صوم الساعات المتبقية من النهار، وصولا الى الساعة التي يثور فيها طوب (ابو خزامة)، فنهرع الى مائدة الموائد، حيث تمتلئ العين بمرأى اصناف وافدة جديدة،برغم محدوديتها، على سفرة الطعام... وما زلت استشعر ثقل الدقائق التي يقضيها المرحوم ابي في اداء شعيرة الصلاة، حيث يصلي المغرب مصحوبة بالكثير من الاوردة والادعية التي كان طول زمن ادائها يملؤنا حنقا وغيظا، لانستطيع التنفيس عنهما مخافة العقوبتين، سلطة الاب وجبروت الله..

ولما كنا نلتئم حول صينية الافطار، كان الحجي رحمه الله يتصدر المكان مبسملا محوقلا يردد اللازمة ذاتها(اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت ولصيام يو غد نويت.. ذهب الظمأ وأبتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله...)، كانت عيوننا ترنو الى اللحمة المطبوخة التي يكتنز بها ماعون المرقة الخاص بالحجي، والتي لن ينولنا منها سهم ابدا، ومن كان منا جريئا ومد اليها اصبعا اصابه توبيخ الحجية اصابة بالغة(ولك رجع ايدك، هذا سهم ابوك... خطية هلكان النهار كله بالشغل..)..

اذكر كم كانت امي على فقر مطبخها ماهرة في صنع اكلات لذيذة تحمل نكهتها الخاصة، سيما المحلبي الذي لم اكن اشبع من تناوله ابدا، حتى اسطو على حصص غيري من اخواتي المسكينات اللواتي لم يكن يجلسن معنا نحن معشر (الزلم)..

وكان التنور الذي تشجره امي قبيل الفطور بساعة، حتى يستحيل جداره الاسطواني الداخلي مضيئا متوهجا بحمرة النار، لتتناول بعد ذلك تباعا (شنكات) العجين الكروية، لتفرشها بين يديها قرصا رفيعا عريضا، ومن ثم تلصقه بجدار التنور المشتعل، ولم ازل اتذكر سؤالي عن كيفية قدرتها ومقدار شجاعتها على ادخال يدها داخل ذلك الاتون الملتهب..

كانت اعظم متعنا، على فقرها وبساطتها، ممارسة فعالية الماجينا، التي تقتضي منا حمل صينية دائرية من الفافون وعليها كوم من الجوكليت والحامض حلو والحمص المجفف، وصحون اخرى تحوي عجينة الحناء مثبتاً عليها عدد من الشموع واعواد البخور المشتعلة، لندور بها بين درابين المحلة نطرق ابواب الدور هاتفين بحماس ذي مسحة خاصة(ماجينا ياماجينا حلي الجيس وانطينا، تنطينا لو ننطيكم بيت مكة نوديكم..) ثم نستصرخ اهل الدار بصوت اعلى وبحماس اشد(يهل السطوح تنطونا لو نروح؟) فأذا فتحت ام البيت باب بيتها ومنحتنا خمسة فلوس او عشرة، وفي احيان قليلة ٢٥ فلسا، اعطيناها بعض الحلوى والكرزات وبعض الحناء، اما اذا لم يفتح الباب بقينا مواضبين في الطرق عليه، ويحدث ان يصعد احد من اهل الدار الى سطحه ويدلق علينا قدرا من الماء.. تفرقنا وعدنا محملين بقطع الحجارة نقذف بها نوافذ البيت وبابه هاتفين بغضب واضح(ذبو علينا الماي بيت اهل الفكر..)...

رمضـــان في بـغـداد ذكـريـــات جميلة

مهدي حمودي الانصاري

يحتل شهر رمضان المبارك مكانة متميزة في نفوس ابناء المجتمع البغدادي أيام زمان لما يشعه من روح ايمانية عالية وتقوى صادقة وبما كانت تحمله ايامه وامسياته ولياليه من مسرة غامرة تختلف اختلافاً كبيراً عن بقية أشهر السنة الاخرى بما كان يحمله هذا الشهر الكريم من عادات وتقاليد جميلة محببة الى نفوس البغاددة نذكر هنا بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر.

نقول كان من عادة العوائل البغدادية في مثل هذا الشهر المفضل هو تبادل الاطعمة في ما بينهم اذ كانوا وقبل موعد مدفع الافطار بقليل حتى كان المرء يرى الصحون المملؤة بالاطعمة الشهية كل حسب قدرته المالية وهي تتداول بين تلك البيوتات فقراء كانوا ام اغنياء كدليل للروح الاجتماعية والمحبة الحقة المتأصلة بهم والتي كانت سائدة بين عوائل واسر تلك البيوتات حيث كانوا لايتذوقون افطارهم مالم يتذوقه جارهم العزيز وهو ما كان يسمى (الطعمة).وكان من عادة الرجال وبعد اطلاق مدفع الافطار يتناولون ثمرة التمر ثم يتوجهون بعدها الى المساجد القريبة من دورهم لاداء فريضة صلاة المغرب وبعد الانتهاء من اداء الصلاة يعودون بعدها الى دورهم ليكملوا فطورهم قائلين اللهم لك صمت وعلى رزقك افطرت ولصيام غد نويت لقد ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله.ومن العادات المعروفة انذاك في مثل هذا الشهر المبارك ايضاً هو قيام حمامات بغداد والتي كانت منتشرة بين المحلات البغدادية ومناطقها انذاك بفتح ابوابها لغاية وقت الفجر اي قبل الامساك والتي كان يؤمها الرجال للتطهر قبل دخولهم الى المساجد للصلاة يوم لم تكن بعد الحمامات البيتية قد انتشرت فيها لما هو في وقتنا الحاضر.

ومما مازال عالقاً في اذهان كبار السن في الذكريات العطرة لامسيات هذا الشهر الجليل الرمضاني هي تلك الروائح الشهية التي كانت ناتجة عن طهي الاطعمة التي كانت ربات البيوتات المصونات البغداديات يقمن بطهيها انذاك استعداداً لمائدة الافطار العائلية بحيث كان السائر بين تلك البيوتات ودرابينها الحلزونية الضيقة وازقتها يستطيع معرفة نوع تلك الاطعمة المطهية في مطابخ تلك البيوتات والتي كانت تدخل حاسة شمه من دون استئذان وذلك من خلال الفتحات الصغيرة لمطابخ تلك البيوتات التي كانت تطل على تلك الازقة والدرابين.

ومن العادات التي كانت متبعة بين ابناء الاسر والعوائل في تلك الحقبة خلال الامسيات الرمضانية ولياليها هي تبادل الزيارات بينهما وذلك لقضاء ما كان يعرف يومئذ بـ التعلولة عند النساء كانت تعرف بـ القبول اما لدى الرجال فكانت تعرف بـ المجالس مفردها مجلس اذ كانوا يقضون الوقت في تبادل السوالف والنوادر والاحاديث الدينية على رنين اقداح الشاي والقهوة وتناول الحلويات والمكسرات وكانت مثل هذه الزيارات تشد من اواصر الصداقة والمحبة بين الاسر والعوائل البغدادية.